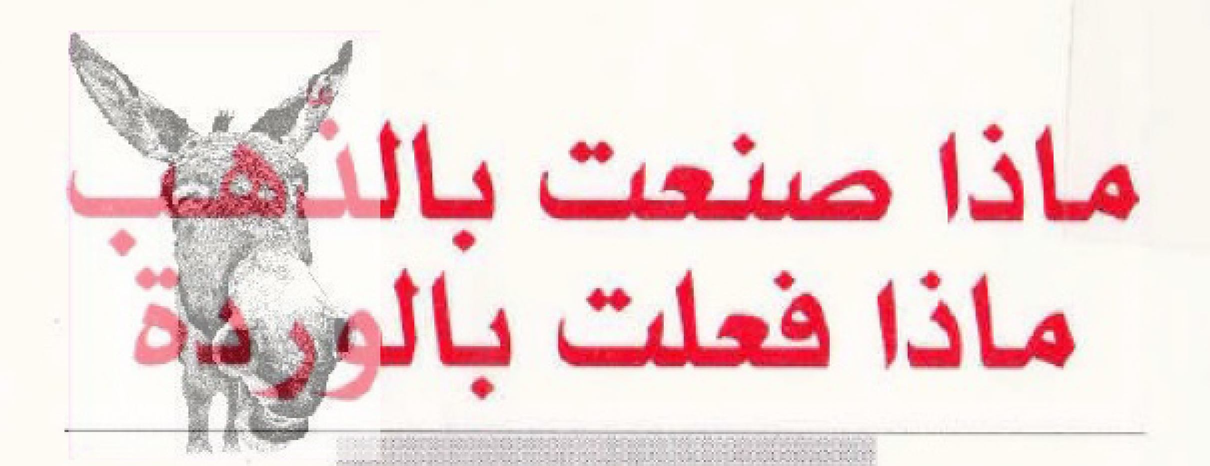
أنسي الحاج



ماذا صنعت بالذهب ماذا فعلت بالوردة

دار الجديد

أنسي الحاج

ماذا صنعت بالذّهب ماذا فعلت بالوردة

دار الجديد

تنفيذ وتوزيع شركة دار الجديد ش. م. م. □ ص. ب: ١١/٥٢٢٢ بيروت ـ لبنان □ هاتف: ٣٤٣٧٥٢ □ نضد النصوص: سناء وحنان سلامي □ ضبطها على أُصولها: محمود عساف □ أنشأها كتاباً: علي حمدان □ ألَّف الغلاف: طلال حاطوم.

كان صدور هذا الكتاب في طبعته الأُولى سنة ١٩٧٠ عن دار النهار للنشر.



أسير النهر



ماذا صنعتَ بالذّهب
ماذا فعلتَ بالوردة

قولوا هذا موعدي وامنحوني الوقت.

سوف يكون للجميع وقت، فاصبروا.

إصبروا عليّ لأجمع نثري.

زيارتكم عاجلة وسَفَري طويل

نظرُكم خاطف وورقي مُبَعْثر

محبتكم صيف وحُبّيَ الأرض.

مَن أُخبر فيلدني ناسياً

إلى مَن أصرخ فيُعطيني المُحيط؟

صار جسدي كالخزف ونزلتْ أوديتي

صارت لغتي كالشمع وأشعلتُ لغتي،

وكنتُ بالحب.

لامرأة أنهكتْ الأسوار فيخلو طريقي إليها.

جميلة كمعصية وجميلة

كجميلة عارية في مرآة

وكاميرة شاردة ومُخمَّرة في الكرْم

ومَن بسببها أُجليتُ وانتظرتُها على وجوه المياه

جميلة كمركب وحيد يُقلّم نفسه

كسرير أجده فيذكرني سريراً نسيتُه

جميلة كنبوءة تُرسَل إلى الماضي

كقمر الأُغنية

جميلة كأزهار تحت ندى العينين

كسهولة كُلّ شيء حين نُغمض العينين

كالشمس تدوس العنب

كعنب كالثدي

كعنب ترْجع النارُ عليه

كعروس مُختبئة وراء الأسوار وقد ألقتْ عليّ الشهوة

جميلة كجوزة في الماء

كعاصفة في عُطلة

جميلة أتتني

أتت إليّ لا أعرف أين والسماء صحو

والبحر غريق.

من كفاح الأحلام أقبلتْ

من يَناع الأيام

وفاءً للنذور ومُكافأةً للورد

ولَمعتْ منها كالجوهرة.

سوف يكون ما سوف يكون

سوف هناك يكون حُبّنا

أصابعه مُلتصقة بحجار الأرض

ويداه محفورتان على العالم.

أُنقلوني إلى جميع اللّغات لتسمعني حبيبتي

أُنقلوني إلى جميع الأماكن لأخْصرَ حبيبتي

لترى أنّني قديـم وجديد

لتسمَعَ غنائي وتُطفىء خوفي.

لقد وَقعْتُها وتُهتها

لقد غزْتها

أعيروني حياتكم لأنتظر حبيبتي

أعيروني حياتكم لأُحبّ حبيبتي

لأُلاقيها الآن وإلى الأبد.

لَـكُم أنتم لتدقَّ الساعات

من سراجكم ليؤخذْ نور الصباح

فأنا بريء وحبيبتي جاهلة

آه لـيُغدَق علينا

لنُوقِّرْ لنُجْتنَبْ

ولْـيُغدَقْ علينا

فخُبتي لا تكفيه أوراقي وأوراقي لا تكفيها أغصاني
وأغصاني لا تكفيها ثماري وثماري هائلة لشجرة.

أنا شُعوب من العُشّاق

حنان لأجيال يقطر منّي

فهل أخنق حبيبتي بالحنان وحبيبتي صغيرة

وهل أجرفها كطوفان وأرميها ؟

آه من يُسعفني بالوقت من يُؤلّف ليَ الظلال مَن يُوسّع الأماكن

فإنّي وجدتُ حبيبتي فلمَ أتركها...

ما صَنعَتْ بيَ امرأة ما صنعت

رأيتُ شمسك في كآبة الروح

وماءك في الحُمّى

وفمك في الإغماء.

وكنت في ثياب لونُها أبيض

لأنّها كانت حمراء.

وأثلَجَتْ

والثلج الذي أثلجت كان أحمر

لأنّك كنت بيضاء

ورَدَدْتِ عليَّ الحُبّ حتّى

لا أجد إعصاراً يطردك

ولا سيفاً

ولا مدينة تستقبلني من دونك.

هذا كُلّه

جعلتُه في ندَمي

هذا كُلّه جعلْتُه في أخباري

هذا كُلّه جعلته في فضاء بارد

هذا كُلّه جعلته في المنفى

لأنّي خسرْتك

إذ ملأتُ قلبي بالجُنون وأفكاريَ بالخُبث

فكتمت وانفصَلت

وكنت أظُنّك ستصرخين وتبكين وتُعاودين الرضى

ولكنْ كتمت وانفصَلت

وكنت أظنّك ستعرفين أنّ نفسيَ بيضاء برغم الشرّ

وأنّي لعباً لعبت وحماقتي طاهرة

وكنت أظنّ أنّك وديعة لتغفري لي

أنّك وديعة لتُقبّلي آثامي

أنّك وديعة لأفعل بك كالعبيد

وكنت أظنّ أنّي بفرح أظلمك وبفرَح تتنفّسين ظلمي

وكنت أظنّ أنّي ألدغك فتتّسع طُمأنينتي وأنقضك كالجدار فتَغْلَقين كالغبار بأطرافي

لكنّي ختمتُ الكلام وما بدأْتُه

وأتفجّع عليك لأنّي لمِ أعرف أنْ أكون لك حُزناً

ولا عرفت أنْ أكون كما تكون اليد للزهرة

فكنتُ مغنّياً ولك ما غنّيت

ومَلكاً وأنت لم أملك

وأُحبّك

وما أحببتك إلّا بدمار القلب وضلال المنظر

وأُحبّك

وطاردتك حتّى أُشاهد حُبّك وهو نائم

لأعرف ماذا يقول وهو نائم

فحمَله الخوف وروّعه الغضب

وهرب إلى البُرج عالياً

كاتماً قد انفصل

وأنا في جهلي أطوف وفي حكمتي أغرق

على موضع أدور على موضع أهدأ

وحُبّك يقظان وجريح وراء الأسوار

وحُبّي بازّ بعد الأوان

نار البزّ تأكله بعد الأوان.

أحفظُ مظالمي وأُعطي مبرّاتي

أحفظُ مظالمي فمن يُعطيني مظالمه

ومن يأخذ مبرّاتي ويُعطيني الرجاء

لأنّي لم أعد ألمح نوراً في الغابة.

تذهب الريحُ بالثلج وبالثلج تعود.

جسدي كالخزف ولُغتي كالشمع.

إتّخذتُ آفاقاً عظيمة وجعلتُها حفراً

إتّخذت اللّيل فأطفأته والنهار فأسلمته

إتّخذتُ الأكاليل فاحتقرتُها

إتّخذتُ الحُبّ فكسرته

إتّخذتُ الجَمال وكرَجل أفقرْتُه

إتّخذتُ الحُبّ

إتّخذتُ الحُبّ الشبيه ببَرّ لا يحدّه ماء

الشبيهَ بمياه لا تحدّها برّيّة

إتّخذتُ الحُبّ عوض كُلّ شيء مكان كُلّ مكان
بدَلَ الجوهر ومحلّ الشرّ والخير

أخذته أخذت الحُبّ وشكاني

الذين صاروا في فاقة

وتعالت جُفونهم الذين حسدوني

ونهش ضحكهم الهواء الذين تهكّموني

فماذا صنعتُ بالحُبّ

وأخذتُ ذهَبَ النساء وردةَ الذهب فماذا صنعتُ بالذهب وماذا فعلتُ بالوردة؟

أُنقلوني إلى جميع اللّغات لتسمعني حبيبتي

ثبّتوها على كُرسيّ وجّهوا وجهها إليّ

أمسكوا رأسها نحوي فتركض إليّ

لأنّي طويلاً وبّخت نفسي ويأسي قد صار مارداً.

أطيعي دمعك يا حبيبتي فيُطرّيَ الحصى

أطيعي قلبك فيُزيلَ السياج

ها هو العالم ينتهي والمُدن مفتوحة المُدنُ خالية جائعة أنت وندَمي وليمة

أنت عطشانة وغُيومي سود والرياح تلطمني.

العالمُ أبيض

المطر أبيض

الأصوات بيضاء

جسدك أبيض وأسنانك بيضاء

الحبر أبيض

والأوراق بيضاء

إسمعيني اسمعيني

أُناديك من الجبال من الأودية

أُناديك من أعباب الشجر من شفاه السحاب

أُناديك من الصخر والينابيع

أُناديك من الربيع إلى الربيع

أُناديك من فوق كُلّ شيء من تحت كُلّ شيء ومن
جميع الضواحي

إسمعيني آتياً ومحجوباً وغامضاً

إسمعيني اسمعيني مطروداً وغارباً

قلبيَ أسوَد بالوحشة ونفسيَ حمراء

لكنَّ لوحَ العالم أبيض

والكلمات بيضاء.

قتل حبيبُها التنّين

قالت للتنّين

ـ إرم الجبل

فرمى التنّين الجبل.

وقالت للتنّين

ـ إبلع المدينة

فبلع التنّين المدينة.

وقالت للتنّين

ـ ليقتلْك حبيبي

فقتل حبيبُها التنّين.

وما زلت أنسى أنّي

قتلتُ التنّين

لأنّ حبيبتي أوصته

أنْ يُقتل...

فَرِحَ على الأرض

كان يبحث عنها فوجدها

واحتار ماذا يفعل

فتركها تمرّ ولمّا اختفت

رجع يبحث عنها

ولمّا وجدها قال يا إلهي

إجعلْ نظري كبيراً فيحويها

وحجَري ماء فيسقيها

طوّقْها بي كسجْن

وطوّقْها بي كشكران

أو اكسرني يا إلهي عليها

كالصّاعقة

في البحر.

كان ضائعاً فلمّا وجدها

فَرِحَ على الأرض قليلاً

وطار إلى السماء.

خلّصني، خلّصني

الـحُرُّ لا يُراقبُ نفسه

فلا يرى أيّـة أزهار يدوس

وأيّـة أزهار يزرع.

الـحُرُّ ليس له ذاكرة

فها قد نسي نظرة

رَبَطته بتلك الـمرأة

التي سوف كثيراً تكون.

لكنَّ الـحُرَّ يُراقب نفسه

عندما يستعيد الذاكرة

فيرى تلك المرأة

وكمْ كان غبيّاً

كم سيصير عَبْداً

كمْ كان فرحاً

وكم سوف كثيراً يبكي.

لأنّ الحُرَّ الذي صحا

أيّتها الفاتحة عينيها

لأنّ الحُرَّ الذي صحا

شقَّ قلْبَه الخوفُ عليك

ونسَفته الغَيْرة وركَزته الغَيْرة

وطوّحته الهموم

طوّحته، ضعيفاً مطعوناً

بين المخالب كقمر

ينظر إلى الأحرار

يكره الأحرار

ويصرخ ويعرف أنّه لا يصرخ:

خلّصني خلّصني

ويبكي ويعرف أنّه لا يبكي،

لأنّ البكاء يُحرّر العاشق

وهو عاشق

ولا شيء يُحرّره.

الحُرُّ لا يُراقب نفسه

الحُرُّ ليس عاشقاً

الحُرُّ لا يعرفك الحُرُّ لا يشتهيك

الحُرُّ إناء مكسور

الحُرُّ لم يأخذك

الحُرُّ لا يتعذّب لا يعرف لم يَدْخل.

آه لأكُن وحديَ العبد

ولْتُطفئني الغَيْرة والمخاوف تخنقْني

لـم تعد الـخُرْيّة جميلة

لـم تعد الـخُرْيّة كـريـمة.

بعدما ألبسني حُبّك وجهي

عرفت أنّ استقلالي السابق

هو الأسْر

وعرفت أنّ حُرّيّتي السابقة

هي الـمنفى

وعرفت أنّ كلّ شيء سابق

كان يحفر في الـمنفى نفقاً

مَشيئتُـه طويلاً إليك

وكانت مسيرتي إليك

مسيرة أعظم الزنوج بياضاً.

فرْدة حذائها

كي أرتـمي فيها كعملاق يرتـمي في كأسه. كي أُقبل عليها كغرباء إذا استوطنوا يأكلون الوطن وفاء. كي أنهارَ مثل رَجَفان الـجبال.

الغائـبةُ القلب في الـيديـن، الغائـبةُ اليديـن في صدأ السعادة الـجمريّ.

الّـتي تفقد فرْدَة حذائها من أجل أنْ يهتدي الأمير إلى مصيره.

على سَحابة رجليك

I

لم يُـؤذ ولـم يأثم. ومع هذا لـم تـكن أيّامه خفيفة.
لـم يعتقد أنّ الرذيلة ذكاء إنّـما آمن بأنّ الرذيلة غباوة.
قال إنّ الغُهر بشع ورمى العفونة. لـم يُؤذ ولـم يأثم. كان
ذا حنان جهنّمي وبراءة وحشيّة.

قال مرحباً أيُّها الـحبّ

وقال: الوداع أيّتها الأيّام الـخفيفة.

II

منْ حيـن إلى حيـن، لـكي يدور بيَ الدُّوار، أُوقف
مصيري على سَحابة رجليك ...

III

لـكـلّ ريـح تـنـام فـي شَـعـرك، مـركـب يـرسـو فـي قلبي.

IV

كـلّ مـاء يـغـسلـك يـتـمـزّق. هـنـاك يَـنـبـوع يُـرفـرف ماؤه كـفـراشـة. إصـعـدي والْـمـسيـه لـيـتـمـزق. طـالـمـا شاهدَك تُمزّقين سائر الـمياه، ونار الغَيْرة تنهشه حتّى البـحر.

V

ما كـنتُ أعرف أنّ أحداً يحتلُّ أحداً كـبحر

ويسكنه كهاوية.

ما كـنت أعرف أنّ البحر يهبط الرمال الضيّقة

وأنّ ماء ضيّقاً يُغصّص الصحراء.

أين أذهب بك

أيـن أرحل وأجد الثياب

فألبس لفرس البهجة.

كلّ شيء يُولد وكلّ شيء يخلو.

تـمـام الأزمـنـة طـالـع مـن سُـهـولـك والـفـراغ طـالـع مـن سُهولك

سُهولك السهلة وسُهولك الصعبة

سُهولك النوم وسُهولك الـخَربة

أيـن أذهب بك بعيداً عنك

مُفرَغاً فيك

مُحتوياً إيّاك

أيـن أذهب

وما كُنت أعرف أنّ أحداً يحتلّ أحداً كبحر

وأنّه يَسكنه كهاوية...

VI

قـرأْت الـكُـتـب لأسـرق أوصـافـاً تـعـجـبـك. إنـتـبـهـتُ إلـى الأحاديث لأتعلّم كلمة تُدهشك . أبـحـرت تـحـت الـحذر لأفتّش عن وعي يبهرك.

لكنْ ماذا ينفع الرجل لو اكتسبَ العلوم وكانت حبيبته المعرفة.

VII

كُلُّ يد، كلُّ يد تسمع في كفّها وَقْع عينيك في عينيّ.

كُلُّ مرمر، كُلُّ مرمر يُردّد صلاتي إليك.

VIII

يَنهبني الزمان الذي تنهبه الحياة التي هي أنت.

IX

تقولين البُكاء يَغمر. كالضمّة.

تعالي. سأكون أنا البكاء إلى الأبد.

X

سأدع القمر الغريق في الرمال

غريقاً في الرمال.

سأدع الشمس المُترَدّية تحت الماء

مُتردّية تحت الماء.

سأدع ملك الملوك المُعظّم

ملك الملوك المُعظّم.

سأدع فقير الفقراء الفقير

فقير الفقراء الفقير.

لكنْ

قبل أنْ تُكملي سيرك

خُذيني في سيرك.

قبل أنْ تلقّي الطريق

خُذيني عن الطريق.

قبل أنْ تدخلي إلى هدوء البيت

إلْـتـفـتـي إلـى الـجـنـون فـي خُـبـتِـي حـتّـى الجنون

وإلى الموت في خُبثي حتّى الموت.

XI

كنتُ لُعبة وأنت طفلة. ولمّا كبرت أصبحت طفلة وأنا لُعبتك.

XII

كنتُ مشكوكاً على الرمح والرمح طائر. يوم الْتقيتك أمسكتُ روحي من جذورها. صرت أنا بكاملي. وصلتُ إلى المدار.

أنتِ وأنا غدَوْنا العالم. ليتكرَّر، ليتكرّر دائماً هذا العالم!

وإذا خاطبتُك بكلام من غير القلب، أُحسك تفضحينني، تسحبين الأرض من تحت قدميّ، فينزف كياني دم الخجل والخطيئة.

XIII

أسكتُ عندما تتكلّمين لأنّ سكوتي يصون نقائي.

لقد ذبحوا كُلّ شيء بالكلمات. وحدكِ تتقدّس بك الكلمات. وحدكِ تتألّه فيك الثرثرة.

XIV

صوتك الهامس هو الهتاف.

صوتك العالي هو تاج الهمس.

صوتك جميل لأنّ جِلْدك في صوتك.

XV

أسرعي أسرعي إلى المرآة. سوف ترين أنّك متروكة في نظري.

XVI

تملكين جميع المواهب ولا تُعطين إلّا الحاجة إليك.

تصنعين نظاماً لقلقي وجحيماً لطمأنينتي.

أيّتها الأفيون يا حبيبتي، أعطيني أنْ أغيب فيك غياب الشمس الأخيرة.

XVII

آه حظُّك آه.

حظُّك أنّك أنت ...

كان خصرها أشقر

مُنذُ ربّيتك وأنت نـجمة ضئيلة. كان خصرك أشقر
فلمّا كبرت صرت كَرَزة.

تُسوّيـن شَعْرك بأسنان شهوتي.

تَحْذرينني وأحْذرك.

أنا الثعلب وأنت الثلج.

حان للثعلب العاشق

أصغيتُ لأنّي تشوّقت إلى صوتك

نظرت لأنّي تشوّقت إلى وجهك

مُدّي يديك إلى حافظ عهدك

أُنظري إلى الثعلب العاشق ولا تقولي: يا اللّه، كم من الدجاج يحمل ضميره!

بل قولي: حان للثعلب أنْ يجدني، فهو ترك وراءه الغابات، وأنا لم أعد أرى أمامي.

بعدما عرفتُ حقائق العالم فكرهتها وأحببتها

تركتُ الشمس تغيب

وأطفأتُ في غرفتي

أطفأتُ وقلتُ: أُحبّك

أجابوا: أُحبّك !

وأغمضتُ عينيّ فوجدتك

لأنّي كُلّما أغمضتُ عينيّ

رأيتُ السعادة.

أيكون حُبّي لك واحداً؟

أتمجّد بك ألتجىء إليك

يا امرأة الأعمار المديدة

يا امرأة الثمرات والمعونات

يا امرأة الأحراج والبحار

يا امرأة العينين المُرسِلَتَين إلى الأشياء نعمتها

يا امرأة الشفتين المُغرورقتين بالدموع...

هُمْ رأوا شرّاً بينهم

أنا رأيتهم.

إلى متى يقصد الرجل الظُّلمة فيضيع

وهو مكاناً واحداً يبغي

إلى متى أُرْزق باطل العطايا

وأنا ما اشتهيت غيرك

إلى متى ينزل اللّيل على اللّيل كُلّ ليل

ولا يطلع اللّيل ليلة من قلبي...

إنّي أترك الأسئلة والأجوبة

أترك التظاهر والادّعاء

أترك الوطن السطحيّ وأزقّة الـجَدَل

أترك مشاغلي وأترك مبادئي

فأنت السّنون التي انقضت من دونك.

ومهما يكن هذا الكلام باهتاً

فهو عادل وليس باهتاً.

إنّي سأترك الأسئلة والأجوبة

ودمي سأترك على الصخور

والشجر

وسواحل الشمس وكواحل الأدغال

وسأتركه على الشفة

وسأتركه على قوس القزح

وعلى طريق بيتك

فانظري إلى دمي ولا تقولي: كم حزين هذا المنظر بل قولي: كم هو حيّ حبيبي وحُبّه في الحَجَر والشجر والبشر

فإنّي سأذهب لكنّ الذي جئتُ لأجله

سوف يبقى.

هاتفي لَيْلُها

جَرَسُ الهاتف إذا اللّيل

هو اللّيل

جرس الهاتف إذا النهار

هو النهار

جرس الهاتف فجأة

يجعل السرّ سرّاً

والحُبّ حنجرة

والفضاء وتراً سينكسر.

جرس الهاتف الرجاءُ واليأس

والرجاء منك لهو قليل

واليأس يُزهر اليأس

جرس الهاتف يُوقظ

حاشية الحُبّ الغفيرة

كوحوش تنهض

كأشباح تعهّدتْ جُنوني

جرس الهاتف يُوقظ

خياليَ السريع اللّذّة

السريعَ الإيلام

السريعَ الشرّ

السريعَ الطاعة

السريعَ الاستسلام والأسى

السريعَ الهناء

السريعَ الشّبَق

السريعَ المستحيل

جرس الهاتف يُوقظ كلامَ النوم العميق

كلامَ الأحلام السّهْل

كلامَ الصحو الأزرق

كلامَ الوعود الشهيدة

جرس الهاتف يأتي

قبل أنْ يأتي

جرس الهاتف يقرعه

ظهْرك المستلقي على السرير

جرس الهاتف يرن

فيسقط العالم

ويُشعشع العالم.

عسَلُ الرّاعي الصّالح

لها جلد كالمنارة.

لا يجيء السارق إلّا ليسرق. وجلدها يجيء كالراعي الصالح.

والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف.

إذ تَـحْتَكُّ به اليد أو النظر، يندفع العَسَل، ويفكّ النهارُ أزرارَ العشيّة.

ويتناول النهار على نهدَي العشيّة الآبَ والابن والروح القدس.

هذه هي مُذْ أمكنها أنْ تكون منصوبة كخيمة

ومُستعدّة. لقد اصطادوا فيها السمك وظنّوا يصطادون البحر.

لها جِلْد كرجال ينتظرون عودة سيّدهم من «حيث». حتّى إذا جاء كانوا ساهرين. والسيّد يشدّ وسطه ويُجلسهم، يطوف ويخدمهم.

لها جِلْد كالآية، بالغضب والرحمة. جَعَل الشمل يكون بين، وبين.

أقول «جِلْدها» وأنا فخور بأنّي أكرَم اللّفظة التي أمْسَكتُها من جِلْدها، ونزلتُ على عَرَبة شهوتي.

لها جلْد السّلامُ عليه.

حُزني عظيم نعم

مَن أنت التي أُحبّها؟

أنت التي عند قدميها أرفع رأسي.

كانت ليَ أيّام ولم يكن لي عمر.

إغتنيتُ لمّا صلبتُ حُريّتي على شغفي. آمنت بتلك المرأة، وإنّي أُبْصر. وما وقفتُ كجدار في الأرض بل غدوت الأرض يوم سارت إليّ حبيبتي لتحْضرَني وأحضرها غياباً وراء غياب.

أمّا حُزني فعظيم نعم. وتستحقّين أنْ يُضرمَ حبيبُك

النارَ في جسده وينتحر احتجاجاً لأنّك لا تعرفين كم أنت أنت وحدك.

من أجليَ الحُبّ، من أجلك الكواكب والمراكب. أيّتها المرأة التي تضْمت بانفجار وتصيح كالأريج، المحجوبة بصدقها المكشوفة بصدقها، أيّتها التي فمها المُطْبَق أكمَة وفمها المفتوح سراب، أيّتها التي يسجد العالم لها كالصقر وكالبنفسجة، قديماً خلقني اللّه، لذلك لم أُوجَد.

ولمّا أنت، خلقتُ اللّه في سريرك. ووُلدتُ من جَسَدي على جسدك.

إلى الصّباح والنّصف

I

الباب مفتوح أمامك مفتوح من الصباح إلى الصباح
إلى الصباح والنصف.

II

تجلسين بثيابك كالتلّة. يهطل المطر فتبتلّين.
تزحف الأفعى وتنتصب على التلّة كسيف. تشهقان.

III

لونُ فمك رائحته تفّاح.

IV

الساعة هي اللّيل بعد اللّيل والنصف. لحبيبتي بيت فوق اللّيل. لبيتها غرفة في منتصف اللّيل.

تنظر من هناك فلا تراني. تمشي حيث أمشي فلا تراني. تُضيء فلا تراني.

وتنام في التأجيل. تحلم بالنافذة، وتخاف أنْ يحتلّها النسيم.

V

حدّقي في الظلام؛ أمرُّ وأغمر صوتك .

صوتك الطالع من حنجرتي كالزبيب.

إذهبي اذهبي ولتتبارك الأرض

إذهبي في روائح اللّيمون ولا ترجعي بعد القطاف.

إتّحدي ولا تنفصلي.

تضمّخي تَوزّعي في الشُّعاع لا تنعكسي.

تصاعدي تصاعدي لا تُمطري.

إجعلي خدّيك نسرينتَين وكوني جذعهما.

ليَصِرْ نهداك مصباحين وأنت عتمهما.

ليكن شعْرك غيمة وكوني عاصفة.

إذهبي اذهبي ولتتبارك الأرض.

إصعدي إلى الروح غيبي في الماء اهبطي إلى الروح.

خلّصيني أنا الصغير من حبّك.

أُتركي، فما من راحة تحت عهدك غير موتك.

ما مّضت علينا توطئة وها ينتهي الوقت.

ما فتحْتُ لك قميصاً.

في بلادي حيث الحدود عصافير، لا تنتهي الحدود بين وجهي ووجهك.

في بلادي حيث الزهر يشقّ الصخر، يسحقني الحرمان.

في بلادي حيث البلابل على الشبابيك والسماء على شفير الأرض، بيني وبينك غربة الظلّ عن الجسد.

وجوه تنحني عليّ ولا أراك .

ليتك تبقين وراء اليأس قليلاً، فأُوافيك .

أُمكثي قد أصل

فنذهب في روائح اللّيمون

وأفوز بك في رَيْعان الموت.

الـمُتوهّجة

الشبيهة بـمساء الـحرب

الـمتوهـجة حواليها

الـمتسلّلة إلى ظلّها

الصامتة على السهْل

الراجعة كالطير ليشرب في قفصه

النازلة

الـمُغطية لغزاً بعد لغز

الـمُغطية ولا واحدة من يديها

النازلة

الراكضة في النوم

والصاعقةُ مشلولة.

متى صدَق الكاذب

عيناك جمرتان وأنا الشتاء

دمعتان وأنا الدمع

الـخراف والغزلان والـحمام وأنا الذئب.

أعليتُ رايتي لتلفحها الرياح، وكدهر تنظر عيناي إليك

فقد سمعت في عينيك عذابي ينام وسأُحبّك لأنّك الضباب الـمهاجر،

وأنا الريح وراء الضباب.

صدّقيني صدّقي كاذباً يَصْدق، فمتى صَدق الكاذب فصدقه عظيم.

أحبّيني ولا تنكسري فستقعين في قلبي.

واسمعيني:

جَسَدي يُقْرَعُ كالأجراس.

الأرض الشاسعة

قبْلك كان سَفر

وقطعتُ الطريق.

قبلك كُنت إليك

مُتظاهراً بنكرانك.

قبْلك كنت أعرف

أنّ وقتنا سيجيء

حيـن يجيء.

قبْلك الْتهيت

ليكون لهوي قُوتاً لسَفري

وكذبي ذخراً لصبريَ الفاحش

ونسياني خديعة للنحس.

قبلك مررت بيـن الكروم

لأتعلّم قطفك

وكذبت في صدقي وفي كذبي

كي أُمهّد الأرض الشاسعة

للقائنا الصغير.

الـحقيقة

أُحبّك

الـحقيقة.

بيـن رياحه وشمعتنا

تحت العالـم الذي احتلّت جنوده غرف نومنا

تحت هذا الناعم بحرير الحرب

تبقين لي

برغم سهولة كسرنا

تبقين لي

أنت وأنا

بعيداً عنه

بيـن رياحه

وشمعتنا.

وفوق

فوق هذا الأصغر من العمر

الـمُحترق

الغريق تـحت أربع وعشريـن ساعة

فوق هذا العالـم

تبقيـن لي

برغم قوّتنا

بـرغم استحالة مَنعنا

أنت وأنا

شمسَيْـن أو شمساً

بعيداً عن مرماه

بيـن حُبّنا

وحُبّنا.

الضّاحكة الضّاحكة الضّاحكة

يا جواب جَسَدي

يا شجرة البيوت المهجورة

التي تختار من كلامي الكلام الذي أنا أختاره أيضاً

التي أنسى على اسمها الكلام

حشرتي ومعرفتي

يا عروس الروح والغرائز

يا أُمّ الشهوات

يا صُراخيَ الأخرس، يا مُهرتي البيضاء الناهبة نجومَ ليلي

يا مَن تحمل سيفي وخُطامه

المروّضة

يا مَن تفوّقت على زهر البساتين وفازت على الفواكه الوحشيّة

زنبقة الكآبة الزرقاء الضاحكة الضاحكة الضاحكة.

قمر الاستراحة

كما للآخريـن سماء وبيت

ليَ امرأة.

ليَ امرأة مثلما للآخريـن أطفال

للأطفال رُعاة

للرُّعاة فيء.

ليَ امرأة كما

للآخريـن سَيْر في الزمان

وللأنوار البعيدة آمال

تشخص إليها.

أسألُ

أيـن تـكون

كما يسأل

رجل في الـحقل

الشمس

أيـن تـكون.

وحيداً أنـزل مع الندى

وحيداً أرتفع مع الهواء

ولا يـكتمل قمر استراحتي.

تحت جفنيها

تُحبُّ الألوان، ولا أعرف لماذا الضجر، مزات، على كتفيها.

إذا حنت رأسها فلأنّها أعمق الأوتار. ومزات، لا أعرف لماذا مزات، هي لا تسمع.

أين حبيبتي أين، أسأل، مزات، وحبيبتي أمامي!

كلّ يوم يأتي، يغيب.

كلّ يوم لا يأتي، يغيب أيضاً!

لن أغادر الحُبّ لن أُغادر حَزبي. وإذا حبيبتي تُشاهد الألوان ستُشاهد كم أحميها وأسير فيها.

فأنا اللّون الفاتح الذي تُحبّه واللّون الغامق الذي ستُحبّه.

أنا المُغمَضُ تحت جفنيها.

الأساور

عرفتُ جُدراناً كثيرة. كُنتُ، عندما أعجز عن هدمها، أنساها، فتنهدم.

حتّى ظَهَرَ هذا الجدار.

قال لي: «لن تنساني».

لم أستطع هدمه. لم ينهدم.

يمنعني من المرور.

يمنعني من الوقوف.

يمنعني من العودة.

عرفت جُدراناً كثيرة لكنْ لم أعرف أقوى.

قال لي: «لن تنساني»، رغم أنّي أستطيع أنْ أنسى.

ولم يقل لي سيهدمني، لكنّي عرفت من وقفته الواثقة.

خلْف هذا الجدار، البيت الذي في أحلامي.

مناجم الذهب وعباءات الفرح، والمكتوب على الجبين.

خلف هذا الجدار لي جائزة ولحبيبتي جائزة،

وسبعة أجراس لن تُقرع إلّا لنا، تنتظرنا كما تنتظر الأساور اليدين.

أجمل القارئات

I

تجلسين على حافّة السرير، بالك في الريح وقدماك في العاصفة.

II

تتحرّك يداك مَوجتَيْن. ويبدأ السرير إلى الجنوب.

III

تمرّ الحروف. تحسبين أنّك هرّة. تنامين بين الحروف.

ينقلك النوم إلى المَلك.

IV

ترحلين على الكلمات إلى الأحراج. تقتربين من الصخور فتُصبح مرايا. يصير الندى جداول، النقاطُ عصافير، الفواصل فراشات، الأرقام أشجاراً.

وينتظرك السرير عند غدير.

V

الصفحة السوداء جنّية تُؤجّل عمل اليوم إلى الغد. تستحضر روح اللّذة إلى نهديك الطافرين في عطلة.

لا أحد يحزر كم تشتهين وماذا تتخيّلين.

VI

أعجز عن حماية نفسي من أحلامك. أعرفك قليلاً أيّتها القارئة الجميلة، أنت خليلتي وأُختي. أعرف قليلاً كيف تُمسكين الكلمات من خصرها، وتعصرين، تعصرين.

VII

يُضيء وجهُك فتخفضين الضوء.

الغَتم المثاليّ هو الذي يعتقد أنّ أحلى ما فيه عُريُ الجسد الأبيض.

VIII

تنفصل الغُرفة بضحكة. تطير على تنفُّض نهديك.

IX

تترتّص بك أحراج جديدة عند كُلّ نزول إلى السطر. تلمسين جِلْد الكتاب فتخفضين الضوء أكثر.

X

سريرك مَرْكب وهودج.

تشتدّ الريح. تُجَن حول قدميك العاصفة.

أنـت، أجـمـل القـارئـات، عـلـى حـافّـة السـريـر، تـذهـبـيـن، تذهبيـن...

تصعد الكلمات إلى السرير تنتظر عودتك.

XI

حـيـن تـعـوديـن وقـد انـطـفـأ الـضـوء، تـرتـمـي عـلـيـك الـكـلـمـات فـرحـة، ويـتـفـجّـر وجـهـك بـالـنـور، وتُـمـسـكـك الكلمات من خصرك تعصرك، تعصرك...

النّوم كان قطافاً

كُنّا طبيعيّيـن وجَسَدي قوساً ونشّاباً

كُنّا في بدء عهدنا

التعَبُ في تصرّفنا ونُسرع إليه ونظنّ سيفرّ.

والنوم معاً كان قطافاً

ونظرة الواحد إلى الآخر تُجيبه

ولَمْس الواحد للآخر لَمْس الواحد للكُلّ

وما كُنت تكتبينه عليّ لم يُكتب.

كُنّا طبيعيّيـن لا نحتاج إلى مُخدّر ولا يُحاكم

أحدنا الآخر لأنَّ ذنبه البراءة

ولا يُسَرّ به إنْ أساء إليه

ولا يكرهه لأنّه يُحبّه.

كانت عندما تصحو أنام حزيناً لأنّي أُفضّل من أجلنا المطر.

وحين تُمطر أنتظرُ منّي المجيء فتجيئين.

وتقتلعين جذورك لتنصرفي فتقتلعين جذوري.

كُنّا طبيعيّين.

نفرح إذ نشرق

نتجلّى بالشؤون الصغيرة.

كنت أراك جميلة

وتعطينني عينيّ

فلا أرى غيرك.

أركضي

ـ واقف على الشرفة أرى كواكب عمياء وأشجاراً ترمي غضبها. لا غيمة تمرّ كعروس. مَن أنت حتّى تخنقي القناديل أو تُشعليها؟

ـ أنا غيمة لا تمرّ فوق شرفتك. أخَذَتني الرياح إلى بلاد.

ـ كُلّ بلاد بلادي. شُرفتي في الرياح. أُركضي يا غيمة.

ـ وأين تكون؟

ـ أكون فيك، من وريد السماء إلى وريد الأرض.

غيـمة الشمس

اليد على خصرها تـجعلها وردة

الهواء على وجهها يجعلها فراشة

الضحك يجعلها موجاً

الـحزن يُبقيها شمساً خلف غيمة تـحميها من اللّصوص.

حتّى مجيئي

I

أنت الرجل الجبّار اكسر الجرّة على خوفي، كما أمَرَهم ربُّ الجنود إذ قال اكسروا هذا الشعب وهذه المدينة.

II

لماذا لم يُوضع للذّيمة حبس وللمرأة قفص حتّى مجيئي؟

III

لا أعرف لك أحداً ولا أرى ليلاً أو نهاراً. لا أسمع صوتاً

ولا أشمّ وردة. أنت الوَهْم البضّ.

IV

أتمنّى القمر والشجر والحجر جواسيس على تحرّكات ركبتيك!

V

يتنشّقها النهار. تستحمّ في مساقط الليل.

VI

أخذتُك وحَمَلتِ منّي الصباح.

التي تلبس فستان الورد

كعنق وردة

ابتهلتُ إلى حُرّيّتي

التي

لم

تقدرْ

أنْ

تفعل

لي

شيئاً.

جميلةُ الثلج

عيناها صُعودُ ملاكٍ وسُقوطه

عيناها لـم أُحدّق فيهما إلّا نادراً، بسبب الأمل.

بسبب أملي أنْ أُحدّق فيهما غداً

عيناها الحالمتان بيأسي.

قويّة بفستان الورد

وقميص الهواء

ومعطف السماء البيضاء.

يجمعنا كُلّ شيء

ولا يفصل بيننا إلّا الـحُبّ.

حرف الهاء

لا تعرفونها.

إذا صادفتموها قولوا كلمة.

قولوا: فلمّا أشرق عليه وَحْيُها اختفت.

إذا صادفتموها اقتلوها!

من ليس معي هو ضدّي ومن كان معي هو يُزعجني.

أنا وحيد.

وسأظلّ أُردّد أخبارها. فهي نبوءتي وأنا نبيّها.

ومثل كلّ نبيّ أُكرّر.

لا تعرفونها ولن.

ولا تصدّقوا: إذا صادفتموها لن تقتلوها.

لأنّها امرأتي ولأنّني أُبغضكم.

ولأنّي سأموت ولم أبلغ في بُستانها حصادي.

ولست قانعاً برزقي.

وأُكرّر: إذا صادفتموها أرسلوها إليّ.

وأُكرّر: احفظي صراخي.

وأُكرّر: في اسم حبيبتي حرف الهاء، فمَن رآها ليقل
لها لم أعد أذكر من الأبجديّة غير الهاء.

وليقتلْها إذا، إذا، إذا ضحكتْ!

مثل قمر

I

لا تلبسين ثياباً زرقاء.

تلبسين الأزرق الذي في عيون الشعراء.

II

ذلك النهار جاء الطوفان وجلس. لم تجد السفينة ماء يحملها.

ولم تجد أيّاً منّا لتحرمه الطوفان!

III

أنا لنفسي وحبيبتي لنفسها.

نحن مُتّحدان مثل قمَر.

ثوبها العاري

كانت الشمس جالسة بيــن النساء.

سيكون للشمس قمر على يديَّ وسأُعطيها يد اللّيل.

لا يتكلّمْ عن الـحُبّ أحد. عندما عثرتُ على الـجالسة خجلتُ إذ رأيتها فلم أقل لها. كنت أعرف أنّي أحدَ الأيّام سأجدها. لكنّي وقفت كالأبله.

نظراتي نصَبت مكمناً في صوتي، فأشاح صوتي بنظره خوف الفضيحة.

وخرجتُ من الغابة لتفترسني الشمس.

سعادتي تُخاطب الأشجار وتـحزن بلا سبب.

سعادتي حشيش تحت قدمي.

حبيبتي شمس طريّة، لها على جبيني شحوب. حبيبتي حليب وعشب. إنحدرث عن كتفيها العواصف. إستعبدَتها النار واستبدّت بها الينابيع والأحجار الكريمة.

كنز الكنوز الصامد من أجلي.

وأنا أصير نُحاساً ليشتدّ انعكاسها عليّ، وشُعاعاً لأعود إليها، وماء كي تظنّ نفسها وحيدة فيه.

وثوبها العاري يُهدّد كُلَّ نهر بالفيضان والحريق.

وإذا الحريق احترق، تخلع ثوبها كمن يفتح جفنيه، وتركض إلى النار تخنقها بعُريها المُصمَّم في ضوء منام عتيق، عُريها المنهار كالنور.

ولها، فوق العالم، انحناءةُ امرأة على ساقيها في مرآة!

صغيرة وقدماك كخاصرتين.

سلامُك نبيذ وحربك ذهَب.

من كان يعرفك فغداً لن يعرفك.

ستُصبحين أُمّاً لجميع الأشياء وبهدوء تتّجهين نحو جسدك.

ذهبَ الـمجوس ورجَعوا وقالوا

I

فَتَحتُهما عليك. لن أموت وهما مُغمضتان.

II

اللّيل على لسانك شمس.

III

طلبتُ أنْ يذهبوا ويأتوا بالوقت، فذهب المجوس ورجعوا وقالوا:

سيمحو ليلَ الشتاء ليل الصيف. سيمحو دمع الشتاء دمع الصيف. سيطير عصفور حزين من القفص ليعود إلى القفص عصفور حزين.

IV

التائه الصغير استقرَّ عند باب عروسه، فقتله الحُرّاس على العَتَبَة.

V

تُشرقين أبكر من أصيل الطفولة.

VI

مُتكبرة كلوعة محروقة.

VII

رَبَطتُ لحبيبتي بين السنين. ربطت على مفارق الخجل. أبحرتُ كجاسوس تحت الماء. لم يَرَني

خفير. لم يكشف طويّتي بصّار. لم تشعرْ حتّى حبيبتي.

وصلتُ إلى شاطئها فتضايقتْ. وإذ وَزنتْ كلامي رقَّت. ولما قلت أُريدها، جَفلتْ. أسرعتْ خلف الروابي. نزلتْ تحت الروابي.

ربطتُ لها بين الشُّهُب والشّيَم. وكُلّ مَكْمن كان مُحْكماً وأمامه سياج.

لكنّ حبيبتي أطلقت كبرياءها. أطلقت من كبريائها ذئباً على وجهي.

غابَ وجهي.

أغار

أغارُ عليك من الطفل الذي كُنت ستلدينه لي.

من المرآة التي ترسل لك تهديدك بجمالك.

من شُعوري بالنقص أمامك .

من حُبّك لي.

من فنائيَ فيك.

ممّا أكتب عنك كأنّني أرتكب فضيحة.

من العذاب الذي أُعانيه فيك، من العذاب الأكثر بلاغة من المُتعذّبين.

من صوتك من نومك من وضع يدك في يدي.

من لفظ اسمك.

مـن جهل الآخريـن أنّي أُحبّك، من معرفة الآخريـن أنّـي أُحـبّـك، مـن جـهـل الآخـريـن أنّـي أغـار عـلـيـك، مـن معرفة الآخريـن أنّـي أغار عليك.

من سعادتي بك، من سعادتك بأيّ شيء، من وجودك حُزّة.

من وجودك عَبْدَة.

من وجودك لحظة.

أغار عليك من غَيْرتي عليك.

من أوّل مساء.

من عطائك لي.

من تعلُّقي بك أشَدّ أشَدّ.

أغار عليك لأنّك تقرأينني وأنا أُريد أنْ تـحفظيني.

لأنّك قد تـحفظينني وتـحفظيـن سواي.

لأنّي لا أرى غير حَمْقى،

لأنّي لا أرى غير أذكياء.

لأنّي أُحاصرك وأتعهّدك كالوحش.

لأنّ حُبّي يخنقك.

أغار عليك ممّا أشتهيك أنْ تكوني، وممّا تشتهين أنْ تكوني، وممّا لا تقدرين أنْ تكوني.

من المرأة لأنّك امرأة ومن الرجل لأنّه يراك.

من الجنس لأنّه حتّى يعود يجب أنْ يتوقّف.

من كلّ ما سيكسره نظرك.

أغار عليك لأنّي خَطئتك جاهلاً عددك.

لأنّي أخنقك بحُبّي وأنت لا تقدرين أنْ تُحبّيني وأنت مخنوقة بحُبّي.

لأنّي ساخط لأنّك أجمل النساء.

لأنّي أمدحك فأخاف أنْ تسمعي في مديحي أصوات آخرين.

أغار عليك من الأشياء التي يكبر فرحك بها لأنّك تُحبّينني.

من نبوغ جسدك.

من عابري السبيل ومن الذين جاؤوا ليبقوا ومن الأبطال والشهداء والفنّانين.

من إخوتي وأولادي وأصدقائي.

مـن الأقـويـاء لأنّـهـم يـأخـذون الإعـجـاب ومـن الـضـعـفـاء لأنّهم يبدأون بأخذ الشفقة.

من لبؤة الرجاء النائمة.

من الأنغام والأزهار والأقمشة.

من انتظار النهار لك، ومن انتظارك اللّيل.

من أقصى الماضي إلى أقصى الماضي.

من الكُتب والهدايا ومن لسانك في فمي.

من إخلاصي لك فُرادى وجماعات.

من الموت.

أغار عليك أَجَنَّ أَجَنَّ كلّما تضايقت من غَيْرتي عليك.

أغار عليك من جميع الأعداء ومن جميع الحلفاء.

من الحياة الرائعة التي نقدر أنْ نعيش.

من ورق الخريف الذي قد يسقط عليك.

من الماء الذي يُتوقّع أنْ تشربيه.

من الصيف الذي تخترعينه بغُزْيك.

من الطفل الذي كُنت ستلدينه لي.

من الطفل الذي لن تلديه أبداً...

حتّى السّعادة

ساقاك حميمتان كنهديك

وذكائي يُحرق حبّيَ القديم

مُعطياً حُبّيَ الجديد مَجْدَ العُصور المجيدة.

ساقاك حميمتان كنهديك

وساقاك لك كنهديك

لك ولمجد العصور المجيدة.

وأنت مولودة لتُغلَق الكُتب

مولودة لتمتقع التماثيل

مولودة لتأخُذي مفاتيح العاصمة

مولودة لتصيري عاصمة الذيـن يجب أنْ يصيروا فيك

مولودة لتُصحّحي الحياة

مولودة لتعرفي جميع يديك

مولودة لتُصحّحي الطهارة.

ساقاك هاجمتان كنهديك

مُستقبلتان كنهديك

أيّتها المرأة نفّذي جمالك نفّذي فضيلتك

وكوني زُجاجة الخمر وكوني خمر الزجاجة.

دمّري دمّري

ولترتفع القداسة من نار ساقيك

والحقيقة من الفضيحة

ولتنطلق دُروب المدارس من غابات الجنون

وَسّعي وَسّعي الآفاق

ولذائذنا تنتظر، كي تتّسع آفاقها، أنْ تتفرّج علينا الأرض

في العراء المدهوش بحُرّيّتنا

وقد احتشدتْ هُناك الأنظار من كُلّ صوب

تتأمّل كيف، بعد البُزَق الحنون وبقيّة الفنون، خلقْنا الحبّ

ضدّ الهَلع والموت

ضدّ التفاهة والموت

ضدّ الحُبّ المُضادّ والموت

ضدّ الغَيْرة والموت

ضدّ الخوف والموت

ضدّ الطبيعة المُضادّة والموت

ضدّ البكاء والموت

ضدّ السماء والموت

ضدّ الصقيع والمنفى والحصار

وأوراق خريف الفصول الأربعة

والألحان المُتآمرة

والممْحاة التي تمحونا باسمنا

والوحوش التي لها أسنان أطفال

ضدّ إرهاب الزنبقة الدجّالة

ضدّ الأخلاق المُضادّة للأخلاق

ضدّ الكبت المُصَعَّد بالصلاة والرياضة والكدح والحضارة

ضدّ الحضارة التي أغلقت الحدود

ضدّ الحدود

ضدّ الأيدي التي تشنق الأيدي والأقدام التي تكمّ الأقدام

ضدّ أُمناء السرّ والمتاحف

ضدّ الزمان السابق تاريخنا

ضدّ التاريخ المُعارض تاريخنا

ضدّ الحُمّى الضائعة في الأجساد

ضدّ الأجساد الضائعة فوق حواسّها

ضدّ الأقدام التي تهدر تراب الوقت

ضدّ الأرواح المسكونة بالأرواح

ضدّ الحسد الاتّهام الشفقة

ضدّ العذاب والموت

ضدّ الـموت الـموت الـموت

حتّى السعادة

سعادة أروع وأكبر

أكرم وأكرم

نخترع لها أبديّة نتخطّاها إلى الأبد

نحو اللّه

في داخل اللّه

أبْعد من اللّه

نحو اللّه

الذي هو عراء الكون،

وأنا وأنت والـحُبّ

حُبّ يُعيد إلى البلاد اللّه

الذي يَملك ولا يَـملك

الذي يَخْرص والذي يُبيح

الـذي يَــفـرح والـذي يُــفـرح والـذي كـان قـتـيـلاً فـي ضمائرنا الـحيّة

في ضمائرنا البلهاء

الذي ربطوه في البئر كي لا يُحرّر الماء

الذي لا يشقى

الذي لا يخاف

الذي لا يُحَدّ

الذي لا يُستعْبَد

الذي يُولد من حريق حُبّي القديم

الذي يُولد فوق العالم القديم

الذي يُولد من جميع يديك

الذي يُولد من قديم جسدك وآتي أجسادك

الذي يُولد عند نهر عاصمتك الزرقاء

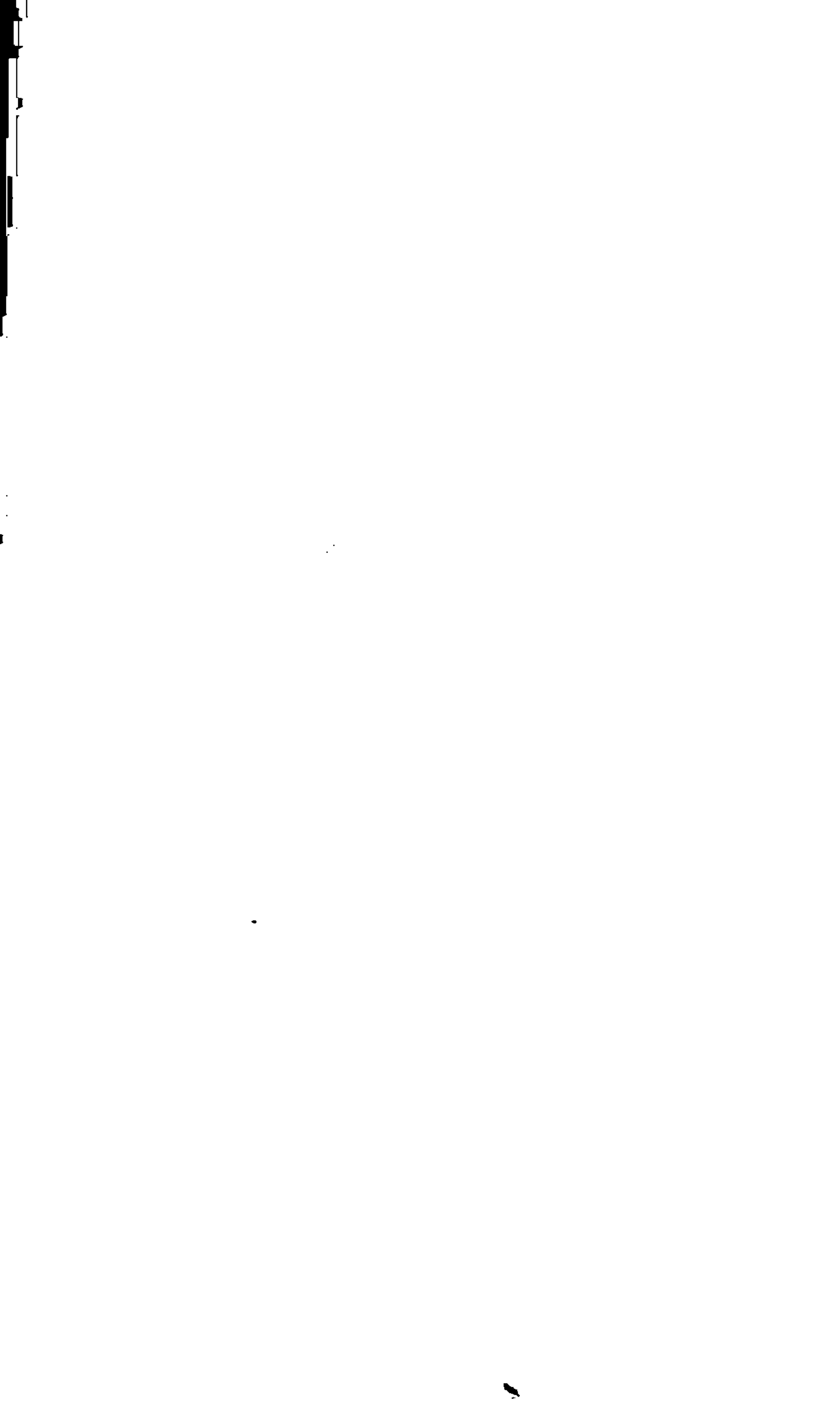
الذي يُولد على سريرك

وساقاك حميمتان كنهديك

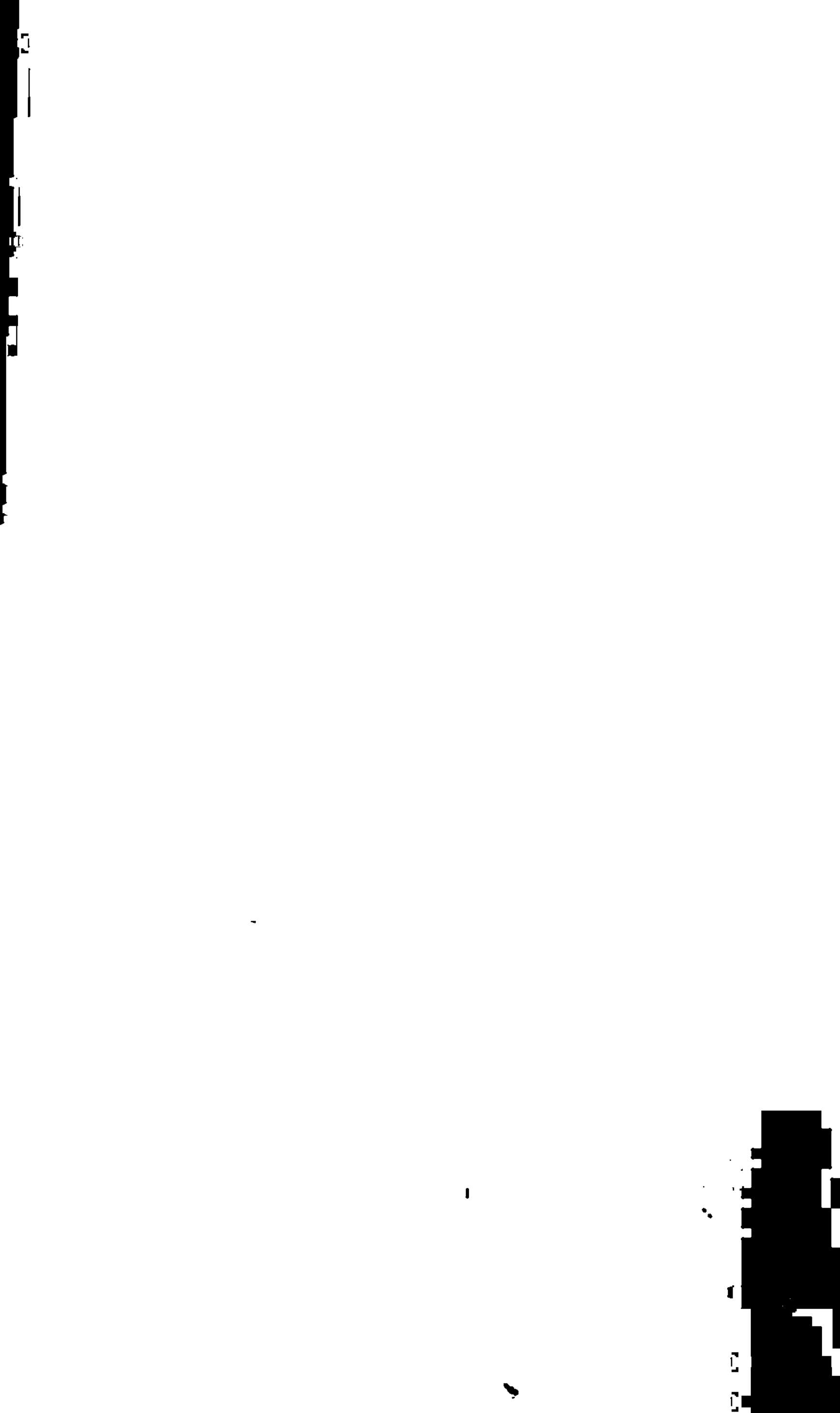
وتجيء العصور

ومجد العصور

وفي الناس الرعشة.



الكنارُ يُطلق النار على نَفْسه



كنا نحسب الفراغ نبيذاً

كان صوتك هضبة تُغطّيها المياه

وكانت مراكبنا سوداً

أراضينا بوراً

شموعنا صخوراً.

كُنّا نُخطئ بالصغيرة والكبيرة

نحسب الفراغ نبيذاً

والرملَ على الرمل: القمحَ والذهب.

وكُنّا نَحفظ الأوراق لتَحفظ

ونَعبد الآثار لنعبد

ونُخبّئ لنُخبّئ،

حتّى جئت

فلم ننظر إلى ما كان

غير نظرة!

ولمّا البحارُ تشقّقت

وأشَعَّ صوتك

هَوَينا إليه كمياه.

صرت المياه

صرت المطر.

ونزل الوقت

نُزول الرعاة من الهضبة.

مرَّ إعصار فلم يقتلع شجرة

لو أخذتُ ورقة وقلماً

وسعيت إلى الرزق

لو تذكّرت اللّه أو نسيته

وضربت بالمعول

لو غرقتُ في الأحراج

وتصيّدت في الغيوم

لما استطعت أنْ أفعل غير الحبّ

فإنّي لا أُخطىء ولا أُصيب إلّا فيه.

وحين أكبر أو أصغر

وتخطبني المسرّات أو السأم

ويُمسك بخناقي حادث

أجلس

آخذ ورقة وقلماً

إلى آخره.

أحببتُ

ومز إعصار فلم يقتلع شجرة

لذلك عدت فأحببت

ولم أنصب فوق رأسي خيمة

ولا حاولت أنْ أفصل بين الأرض الصخريّة والأرض الزراعيّة

لأنّه

إذا كانت الطبيعة تحتاج إلى آلاف السنين لتُحوّل الصخر أرضاً زراعيّة

فالحُبّ يحتاج إلى لحظة و إنسان ليُحوّل

لحظة أُخرى وإنساناً

إلى السعادة.

وأُضيف أنّي على رغم آلامي كُنت سعيداً

فلن أنسى كيف وَهَبَتْني

فمَها الذي يمتصّ الروح ليُجدّدها.

أحبّ كلمة «مُحرّض» وتُحبّني

ولكنْ لا أسمع في الأخبار عن الحُبّ

لأنّ الحُبّ يُحرّضني كثائر يُحرّض الجماعة

والأخبار لا تُذيع عن الحُبّ

كي لا تُذيع عنّي.

وإنّي مُغتبط بهذه المُعاملة السيّئة

فهي تُعطيني غذاء للحقد على البؤس العامّ.

ولهذا

عندما أجلس أمام ورقة وقلم

كما قُلت

دائماً...

الذّئب

في قصص الكبار للصغارْ

ذئب يكونُ دائماً

وراء أحجار

وراء أسفار

وراء أشجار

وراء بُستان من الأزهار.

ويهجمُ الذئبُ

في قصص الكبارْ

ليأكل الصغار.

وذهب الكبارْ

وأقـبَـل الصغارْ

وذهب الصغار.

ويوم لـم يعدْ

يأكلني الذئبُ لكي أنامْ

بكيتُ عشريـن سنةْ

ومتُّ من شوقي إليكْ

يا ذئبُ

مِنْ شوقي إليكْ!

كيف واللّه

ألا يَتعب الرجال ويُهاجرون، بعيداً عن، بعيداً عن؟

كأنْ تقول: قُضاة أزْهقَتهم آذانهم فاستحالوا عوسجاً أو حانات؟

إنَّ التغيير حقّ أكيد.

واللّه كيف يتحمّل القُضاة أمرهم؛ لا حقّ هناك، لأنّه لا حقّ حقّاً.

فلا ظلم واللّه هناك...

من مظاهر الفردوس

إشتاقت السيّدة واستوحشتْ

أبصرها الجنيناتيّ

أتاها.

عاد إلى الأزهار

وعادت إلى الأحلام

أمْسَكتها

تسلّقَتها

قبَضَتها.

وبرأفة

وعنف

كمحراث ومجاذيف...

صاح الأولاد «يا! يا!»

قالت الصغيرة:

ـ أنا أضع القنابل

تحت أبواب الرأسماليّين

لأنّي شيوعيّة

وأنتَ؟

غمَرها بحنان خيبته

وعينيه العميقتين.

تطلّع إلى كنزتها

وكُتبها تـحت إبطها

وذكـر لها عن العمر

الذي بيـن لـحظة ولـحظة

بيـن رجل وامرأة

أو بيـن رجل وفتاة صغيرة.

قالت الصغيرة:

ـ أنا أُوزّع الـمناشير

ضدَّ أعداء الشعب

وأنت؟

وقف شَعْر خُبثه على قلبه

وقال لها

كيف لـم يعد صغيراً

وكيف يعمل في أشغال

ناشفة لكنّها مُهمّة.

تطلّعتْ إليه

سكتت

طويلاً قليلاً

ومرّ ملاك.

وقالت:

ـ كنت أظنّك مع الشعب

صوتك دافئ

عيناك عميقتان،

لكنّك رأسماليّ

ولن أراك.

في ما بعد

عرف أنّ الصغيرة قتلَتها الشرطة.

وفيما كان الرجل العميق العينين

يفكّ حُزنه بالخمرة الرأسماليّة

كانت طهارة الفتاة القتيلة

تعصر قلبه

وكانت براءته العاجزة وهو حيّ

تعصر قلبه

وكانت ذكرياته الـمُضحكة

تعصر قلبه

حتّى لـم تعد في قلبه نُقطة

من دمه الرأسماليّ

نُقطة

من دمها الشيوعيّ

نُقطة

من دم إنسان.

ملأ قلبَه الـحقد

وقسَم العالـم قسمين:

الأولاد الذيـن ضدّ العالـم

والعالـم الذي ضدّ الأولاد.

وعمل خادماً ليَسُرّ الأولاد

حمل إليهم العالـم

ليلةَ عيد

وضعه تـحت أقدامهم

حدّثهم عنه

صاحوا: «يا! يا!»

وخافوا.

عندئذ أشعل الرجل العميق العينـين

العالـمَ الذي ضدّ الأولاد

بعود كبريت

فهبّ الـحريق إلى السماء

حتّى سمعته الصغيرة التي قتلَتها الشرطة

ومن هُناك

شاهدتْ خُبّه

وكُلّ أولئك الأولاد

يخدمهم لأجل سرورهم

وقالت:

«كان لا بدّ أن يُغَيّد الأولاد. أحْسَنت!»

ونظر الرجل العميق العينين

ليرى إذا نسي شيئاً خارج الحريقة

فلم يَر

ولما أبصر الأولاد فرحين

وصاروا أحراراً من الخريطة

أغمض عينيه العميقتين

وسدّ أنفه

وارتمى في النار.

فلنقع فريسة الجزيرة

لمّا مات الأمير هَرَبَ البُستانيُّ الفقير من بطش الخليفة.

تسلّل في اللّيل من أبراج السور وسافر مجموع ليالي السفر. دلّته نجمة العطش على جزيرة حيث استراح.

وسمع أصواتاً ورأى حدوداً. ودلّته نجمة الجوع فابصرهن.

كانت في تلك البلاد عشرون ومليون امرأة.

وبساتين.

وشُهرة لطيفة لرجل إنْ أتى أتى وإنْ لم يأت أتى.

وكُنّ يغزلن الصوف، ويرمين الصحون في الأنهر،

ويأكلن التُّفّاح قبل أوانه إذ هو جاهز على الدوام في الجزيرة. وكُنّ يتعلّمن اللّغات والمبادىء والضحك والشوق والعلوم والغرائز.

أعانت النساء راعي البساتين على الإقامة. خصّصن له راتب ملبس جديد، لكنّ راتبَ المأكل كان قديماً وأيضاً راتب الخمر. فمثل جسد الإنسان وروحه مثل بدء الخليقة.

وصار راعي البساتين راعي النساء وصارت النساء خرافه.

أعطينه الأرض فأخصبها. أعطينه الحقل فروّج فيه العبير. أعطينه العشب فعلّمهن ما فيه من كواكب. أعطينه البراري فزيّنها باللّعب والأنغام. بلّل عيونهنّ وقصف التراب بعواصفهنّ.

حفظن عليه اللّذّة قبل الحساب والسعادة قبل التاريخ.

واللّواتي لم يكُنّ جميلات صرن جميلات.

لقد هرب تحت اللّيل حتى وصل. لكُلّ هارب تحت اللّيل نجمة فوق اللّيل.

وبعد مـمات الأمير هو البُستانيُّ أمير.

لقد أسّس هُناك حياته لنا.

والنـداء هو: لنهربْ وراءه تـحت اللّيـل. فَلْنَقَعْ فريسة الـجزيرة!...

الـمعطف في الصّقيـع كلمة

أُكـتـبْ زيارتـك علـى الـمواسـم. أُكـتـبْ قُبـلتـك علـى الـخبـز والـخمر. أُكـتـبْ علـى الـمفاجأة.

أُكـتـبْ.

أُكـتـبْ شهوتـك علـى، وطَيْفك علـى، وأحلامـك علـى الغار والنار.

أنت عائد غداً إلى سيّدك.

أإلى فرح سيّدك؟

إلى سيّدك.

أإلى غضب سيّدك؟

إلى سيّدك!

ألى رحمة سيّدك؟

إلى سيّدك!...

أُكتب.

أُكتب وَهْمك وعبورك على المصادر والنوافذ.

أنت لست الربيع الذي يجيء كُلّ ربيع. أدخل واكتبْ.

أُكتبْ ألفاظ البرّ والبحر. أُكتب النخوة والتعب. الخَجَل والحَجَر. الرفق والبطش. أُكتب المُمَثّل والشهيد. السرير والضمير. أدمن يديك واترك يديك على الينابيع.

أيُّها الرجل أنت تموت.

أُكتب!

أُكتب!

أُكتب!

نقمَتَك على الثلج غضبَك على النحاس حنانَك على الشمس. أُكتبْ حُبّك في العيون جميعاً.

ليُصبخ عود الثقاب في العتم كلمة، والمعطف في

الصقيع كلمة، والنسيم في الحَرّ كلمة، والغُربة
واللّقاء كلمة، والنهر والفم كلمة.

لينم الرجال بعدك مع الكلمة.

لتنم النساء بعدك مع الكلمة.

لتكن الكلمة بَعدكَ أنت!

الحياة حُرَّة

أشكرُ الذين يسهرون، وقريباً منّي نوافذهم مضاءة بعد الغياب العامّ.

الحُبّ الذي يشدّني إليهم هو بلا وجه. إنّه يشدّني إلى بشر لا يدخلون في مسؤوليتي.

هم الأحبّاء الغفلون من التوقيع، بيني وبينهم مسافة التأمّل. يسيل لعابي لظلالهم على شراشف أسرّتهم ولمشهد امرأة (قد تكون امرأة) تروح وتجيء بشكل مشبوه وراء هدف لا بُدّ أنْ يكون هدفي.

وأكثر الفرح في الأمر أنّهم يسهرون لي دون أنْ يعرفوا. أتدفّأ فوقهم دون أنْ يعرفوا. ينطفئون دون أنْ أكون الإطفائيّ.

جزيل الشكر للّذيـن بيـن نافذتي ونوافذهم خطّ رغبتي يتشمّس في ضوء القمر.

الرؤيا من طرف العيـن.

الناس طيّبون من نافذة إلى نافذة.

الـحياة حزّة من ثَـقْب الباب!

أنت

إذهبْ إلى الطبيعة ثلاثة

أنت، الـمرأة، هو.

يتحابّان، وأنت

حزناً

تتحابّ

وتعبدك الطبيعة!

إبني الحبيب

ما أهمّ شعراً سيُكتب. يُطلّ ويضيع كسَيْر على الأقدام.

دائماً سيظلّ هناك «قديماً».

وقديماً كنتُ للظلام مكمناً وللنور فخّاً. قديماً أصير إلهاً.

لم أكن واعياً في القمار كنت أربح. لأنّ السُّلطان يخسر بحرّاسه.

ما أبسط الشعر الناعس في الممكن النائم في المستحيل. يبدو ذلك عبارة هزليّة! لكنْ عظيم

قولك هذا الشّعر. لو وصلتُ إليه لأكلته، ثمّ رددته إلى المُستشارين ليُنقّحوه، فأشتاقه إذ يتجدّد، فأستردّه، لآكله، وأردّه.

وأنهض عليه في أغانٍ وبعض النساء، يَمْنَحْنك أنَّ ما سوف تنتظره، يَحدث الآن!...

إنْ كتبت شعري فلأنّهنّ. ويقيناً إنْ لم أكتبه فلأنّهن.

آه المرأة امرأة ولا مَنْ يعرف، تجلس ولا مَنْ يضع يداً على يدها. العالم الباني الوقت الضائع ليأت ويتعلّم النساء! الرجل الطاغية عبد. المرأة العبدة طاغية. المرأة الساكنة الوقت الضائع، لتتعلّم يديها اللّاعبتين، وفمها الناضح بالنسيان، ولسانها تدور عليه الأرض. إنّهم هنا بجميع الأساليب إلّا الأُسلوب الرائع. والمرأة تجهل أنّ الشيطان ملعون لأنّه لم يجرؤ أنْ يكون رجلاً ولا تجاسر أنْ يصير امرأة!

أين كنت أيّتها المرأة؟ أين خبَسَتْك الملائكة والأبالسة؟ وأين حبسونا معك منذ ذلك العهد الذي ما بدأ حتّى انتهى؟

ألا فلتكن ملعونة آداب الحُبّ النائح! عقيماً ليصر نباتُها! لتتكسر فضائلها على كُهّانها! لتسقط السدود وليحمل الإنسان حيث يذهب مَجْدَ جسده وروحه. وليبدأ من جديد عهد الجنّة الذي كان فجأة عطّله غُطل طارىء، وها قد أصلَحَهُ العطّار، وصوت من السماء يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت!

ما أجمل الشّعر أتركه فيهنّ. أتركُ فيهنّ حُرّيّة البشر.

ومن أين توجَد هؤلاء النساء لولا الذي فيهنَّ ولن أقوله!

الواو والفاصلة

من أجمل ما يـمكن أنْ يَحْدث هو أنْ ترمي نفسك كُلَّ يوم من النافذة بتلذّذ مُتجدّد واكتشافات فاتـنة.

أنْ تُـكاتب امرأة مجهولة فتُحبّها وتشتهيها ثمّ تلتقي بها و، نقْضاً لتخوّفاتك، تـجدها مذهلة.

أقول ذلك على سبيـل الـمثال في ما يـتعـلّق بـما نسمّيه الصُّدْفة، أي الـحتميّة.

إنّي، كالـخاضع لنفوذ الـمُخدّر اللّطيـف، عـظيـم التفاؤل، في لـحظة من لـحظات التشاؤم الأقصى. عظيم التـفاؤل بـما لا بُدّ من خصوله في الـمُستقبل الذي يرعى ذكرياتي.

عظيـم الـتفـاؤل بـمـا وراء الـتأييـد والإنـكـار، عـظيـم

التفاؤل بما وراء المُتناقضات، عظيم التفاؤل بالفردوس.

أيّ فردوس لا أعرف. ستكون فيه امرأة آتية باستمرار من الشمال كي أمنحها جسدها، كي أمنحها كياننا، كي أمنحها الحُرّيّة، وأكون مَلك العبادة والاستعباد.

كلامي ليس مُشرقاً أو جليّاً لكنّي عرفتُ ماذا تقصدون منه.

الصّقر الذي أكل

وَلد وفتاة

فرْخ صَقر وقُبّرة

الفتاة تُطعم الولد

لأنّ الطير

يُصاد بالطير.

صبيّ وصبيّة

ريش الصغير اشتدّ

وجناح الصغيرة لان

مثل فرخ الصقر إذا صقر

والقُبّرة التي تظلّ قُبّرة.

رجل وامرأة

غمَّرته فقتلها

لأنّ فرخ الصقر

الذي أطعَمَته القُبّرة،

عندما أصبح صقراً

أكل القُبّرة.

عصافير هاربة

صرنا نُفتّش عمّا نقول، حتّى بعد حين نصير مُرتبطين.

وكلّما تنفّسنا خنقتنا الكلمات!

قريباً يكون الذين آلمتُهم بعيدين لا أقدر أنْ أشرح لهم. وسوف أسهر على وجهي.

صَنعْتُ حربي فكم أوذ لو أصنع سلامي.

أفظع ما شاهدت في عيونهم عصافير هاربة تعني أنّي خيَّبتُهم.

صنعت شوقي فكيف أُوصل حبّي.

صنعت حُبّي فكيف أُعطي عطائي.

الدّينار القَمَر

رجل اسمه حافظ

علّقوا عليه الآمال

فوقعتْ.

فرّ من آمالهم

عبْر باب الخدّامين

أبصرَته امرأة واقفة

تحت ثيابها العالية

على الشُّرفة الشفّافة

وفي فكرها طفل

تحبل به من أيّ مغامر

فحملت طفلها إلى الرجل

الذي اسمه حافظ.

من شُرفتها نزلت إليه

الذي هرب من باب الخدّامين.

قالت له سيعرفون

أنّك والده

يا حافظ أيُّها الجذّاب الفاشل

اليوم الأحد

شمساً جعلته في النفق

أنزلْتني عن رأس الحائط أوْجَدتَ

أباً لابني

وفشلاً لفشلي

يا حافظ احفظني

خُذني

ضعني كالدينار في فجوة من أعماق تفاهتك اللّذيذة.

رجل اسمه حافظ

علّقوا عليه الآمال فوقعتْ

وقعت عليه امرأة

علّقت عليهم آمالها فوقعَتْ

وقعت عليه امرأة

حَفظها كالدينار

صار الدينار في حجم القمَر

صار القمر تعليقة

علّق عليها حافظ حُبّه

علّقت عليها المرأة حُبّهما

فوقع من التعليقة

حجر

شقّ الأرضَ

تحت

احتقاراً.

يا باب الـجارية

إفتـحْ أيـّها الباب الـمُؤدّي إلى ثوب امرأة فاتـح، إلى وجه امرأة فاتـح، إلى نَـظَر امرأة مفتوح عليه الـخيال.

إفتـحْ يا باب الـملجأ فالضربُ ضارب على الـمدينة.

إنّهم دائرون يتصيّدون الشارد والـمارد، وما من أحد عند الشدّة يفتقد الشارد والـمارد.

في الـخارج الفناء افتـحْ يا باب الـجارية الـحسناء!

ساقية تنحدر

كان لي شكل البلاد التي يُسافرون إليها وأصبحتُ لا ينبت شوك في حقولي.

سافري

حيث لا تسمعين صوت الكنار يُطلق النار على نفسه.

أنا ساقية تنحدر

إذهبي عن الضفّة ولا تفقدي رغبتي بين الأشجار فأنا باقٍ فيك

كما يومَ كان لي شكل البلاد التي يُسافرون إليها.

اللّوز والـجوز

نهر وشجرة وعُصفور وورقة شجرة.

نهر الشجرة ينام قرب العُصفور تحت ورقة الشجرة. شجرة الفضاء تنام قُرب الوقت فوق ظلّ الشجرة. خذي محبرة لمنقار العصفور يحفُّ يحفُّ يحفُّ، يحتفل وحده بذكريات أسنانك.

يوم نَبَشْنا الشجرة ورأينا كيف تعشق واحداً منّا. يوم أنجبتُ للصُّبح ولداً وولداً للظهر وللمساء ولداً، ثمّ صرت لهم أيضاً ولداً.

شجرة كلّ هذا، بفضائها وشعبها. نمنا عليها ولم ننتبه أنّنا ننام أمامها! وحوّلتها الغَيْرة تنّيناً.

ألذّ ما في الخبر (ليس، لا، ليس أن شجرة...) ألذّ ما فيه أنّك تفهمين الأمر أكثر منّي.

يحتاج حُبّي أنْ يفكَّ عقدة ملابسه الشتويّة ويفلت ونركض معاً وراءه.

يوم الصيف! الشجرة، الشجرة التي تمرّدت على الطبيعة فهجرتها وغدت لنا أثيراً ونظرات وحنيناً وعناقاً. التي حملت صليبنا ورمته من فوق الجبال وتبعتنا سريراً لنا، ولقاء، عَبْرَنا، لكُلّ السعادة.

أمّا العُصفور فطير الخطر الساذج، الواقع حتماً كالقيامة. وأمّا الظلّ فظلٌّ أنْ ننسانا وننجو منهم.

يوم صار!...

أُحبُّ أنْ أحتفظَ بشعور الخوف من فقدانك كي يكثر فرحي عندما أدفن نفسي في جنسك السريع وجنسك الهادىء.

شجرة، شجرة لأنّها الوحيدة على أرض الوحدات الوحيدة.

لأنّها انفراج لنا بالطول والعرض والعمق والعلو.

أكان الصيف أكان الربيع ليكُن. كانت فيه أرقام وساعات وأجراس وعطور. كان فيه الشجرة والنهر.

وأنت ترمين لي لوز العطاء وجوز الشهيّة...

يكتب ويقرأ

كانت يد

كانت يدان

كانت يدان صغيرتان

لم تفعلا غير الظلّ

والثلج

والـجَمْر.

كانت شفة

كانت شفتان

كان فم

لم يفعل غير الحُبّ.

كان جبين

فسيح

لم يفعل غير السَّفر.

كانت عينان

لم تفعلا غير السجن.

كان شَعْر

وبَرْق.

كان صوت

كان

صوت كاليد

لم يفعل

غير النوم.

كان جَسَد

كالهواء بيـن نار وماء

لم يفعل

غير نار وماء.

كانت امرأة.

كان

هناك رَجُل

لم يفعل غير كتابتها

لم يفعل غيـر قراءتها

لم يفعل غير الـجلوس فوق الشرفة

فوق الـمدينة

فوق الـحقيقة.

الفَرْق

رأَيْنا شَهْيال

والـملك الأزرق

والشابّ الـمليح يُقاسي الأهوال،

بديعة الـجمال ودولة خاتون والـمدينة الـمُزيّنة،

الـكحلَ الأصفر،

خاتـمَ لبّيك لبّيك،

قديـمَ الزمان،

اللّيالي غيّرتْ عهد الهوى

القميص الريش

جزائر واق السبع جزائر فيها عسكر

المغارة،

شبحاً أسْوَدَ من اللّيل سدّ ما بين المشرق والمغرب،

قمَرَ الزمان،

كنز شدّاد بن عاد الذي

عمّر إرَمَ ذات العماد التي

لم يُخلق مثلها في البلاد،

القضيب والطاقيّة

كُلّ ليلة

فوق كُلّ ليلة

حتّى أصبح الصباح...

فلمّا أوصلني أبي إلى هناك

حُكيَ واللّه أعلم

أنّي ملكتُ البلاد وحكمت بشبابي بين العباد.

حتّى صار ما صار مع العبد الأسود

فطلبتُ من الوزير أنْ يأتيني

على عادتي منذ سنين

ببنت ليلةً وأقتلها

فراح وما وَجَد

فاقترحتْ ابنته شهرزاد أنْ تُمثّل بنات البلاد

وجاءت

وقالت.

أحببتُها أحبَّتني

قتلتُها.

والفرق بيني وبين شهريار الأبله

أنّها

أيضاً

قتلَتْني!

قبل أنْ يـموت

قاتلَ الوقت حتّى قتله

لكن الوقت قبل أنْ يـموت

تـرك له الـحُبّ.

من الآن فصاعداً

لا تضحكوا

إذا أخطأ فظنّ

أنّ حبيبَته

هي حبيبَته!

عندما يفتحونه عندما يغلقونه

سأطبع كتاباً

لتعرفي أنّك

سأطبع كتاباً

ليقولوا عندما يفتحونه:

كُنّا نحسبه شخصاً آخر،

سأطبع كتاباً

ليقولوا عندما يُغلقونه:

لم نكن نعرف أنّهُ،

كُنّا نظن أنّهُ،

سأطبع كتاباً

لأنّ عينيك لأنّ يديك

سأطبع كتاباً

لأنّي لا أُصدّق

لأنّي لا أُصدّق

لأنّي لا أُصدّق.

عودوا أيُّها الأعزّاء

المَيتُ، بعد قليل، أيرجع؟

أليس كلّ ما على الأرض يتغيّر؟

الميت، بعد قليل، أيرجع؟

لعلّه انتهى سبب الضحك وما زلنا نضحك. لعلّه انتهى سبب البكاء ولا نزال نبكي.

هل يرجع الذاهب؟

كلّ ما على الأرض يتغيّر، فلتتغيّر الأرض!

ليعدْ ليعدْ أولئك الشجعان الذين اجتاحوا

الصمت الأسْوَد. عودوا أيُّها الأعزّاء لقد حضر المستقبل!

... لكنّه الأمل أنْ يكون ساحر موجوداً وراء القوانين.

فهل يرجع الميت بعد قليل؟

أوراقُ الخريف مريمُ العذراء

الكآبة التي كانت تسكنني ماتت

حلَّ محلّها، برياحه وأمطاره،

السيّد الوقت.

صرت أستغرب الشّعر

أقول عن الأطفال أطفال

عن ركبة امرأة ركبة امرأة

وعن غُصن خَوْرَة مقطوع غُصن خَوْرة مقطوع.

ولم أكن، عهد الضباب الدامع،

أتداول أسماء المُسمّيات المتداولة

لا تكبّرا وحده

بل لأنّي كُنت شاعراً،

فكُنت عهد الكآبة أُسمّي

مثلاً

أوراق الخريف مريمَ العذراء.

كم كُنت أُحسّ ذلك!

وما كُنت كما قُلت

أُسمّي هذه الأشياء

بل أراها

وآه كُنت غنيّاً

كُلّ ما يلمسني يسحرني

كُلّ ما ألمس أسحر

ولم أكن أجهل

لكنْ لم أكن أعرف

وظننت صُبْحَ يوم من الأيّام

أنّني خالد،

حتّى

فاحت الكآبة التي كانت

والتي لـم أعرف كيف

ماتت كالـمسك.

تحت حطب الغضب

ما غُدتُ أحتمل الأرض

فالأكبر من الأرض لا يحتملها.

ما غُدت أحتمل الأجيال

فالأعرف من الأجيال يضيق بها.

ما غُدت أحتمل الجالسين

فالجالسون دُفنوا.

ريشة صغيرة تهبط من عصفور

في اللّطيف الربيع

تَقْطع رأسي.

مُتعَب ومليء مُتعَب وجميل مُتعَب تحت حطب الغضب.

لأنّي بلغتُ المُختار

لأنّ امرأة ربّتني على تُراب شفّاف

لأنّي عثرت على الحدود

فتحتُ الحدود.

لأنّي وجدتُها وألغيتُ الحدود.

لم يعد لي صبر على مَن ورائي

ولا على الأحبّاء السابقين.

عندما حصلتُ على الأكثر من أحلامي حصلتُ على الأكثر من الصحراء

وبعدما صعدتُ العرش والشجر الخالية منه الدنيا

حواني شجرُ البَرْد

ولم أتحطّم لكنّي تعبت.

ولن يبكيني أحد

حقّاً

ولن يرتعشوا لغيابي

حقاً كما كُنت حاضراً

ولن يستوحشوا مثل بُرج

ولن يموتوا عليّ موتاً يُضاهي حياتي.

أخذتُ ما يُؤخذ وما لا يُؤخذ وتركتُ ما يُترك وما لا يُترك

وإنّي خرَجْتُ

وامرأة باقية بعيدة

تُكلّمني تُلامسني

وكم أرغبها وكم أيضاً وراء الموت!

وإلى المُهتمّين:

أنا أعظم من عاش

لأنّي أعظمكم في الأُنس والمنفى

بل لأنّي أعظم كائن عاش

كالنسر في البَصَر كالحبر في العمى

عظيماً في الصيد وفي الغَفْلة

وشاهدتُ نـجمتي فأخبرتُكم خُلاصتها

بسرعة النمر وبياض الـحمام

حتّى تعبتُ وغضبت

لأنّي تـجاوزت الفنون والعلوم

واختصرتُ ظاهر العقل وباطنه

وملكتُ الغَضب وبدّدتُه

وكسرت الصاروخ والروح

ثمّ اقترفت بكلامي ذنب التواضع

لأنّي فكّرت أنّه العالـم يستحقّ التواضع.

ووقع كلامي في شلّال

وهو نادم غير نادم

لكنّه يُعلن لكم

كلامي يُعلن أنا الكلام

مُنذُ قليل ومُنذُ كثير

أنا الكلام وآخر الكلام

وأوّل ضرب على صدر الـحياة

وسوف تفتح لكم الـحياة

سوف تفتح الـخزائن

سوف تفتح الـحياة

ولن أكون بينكم

لأنّ ريشة صغيرة من عصفور

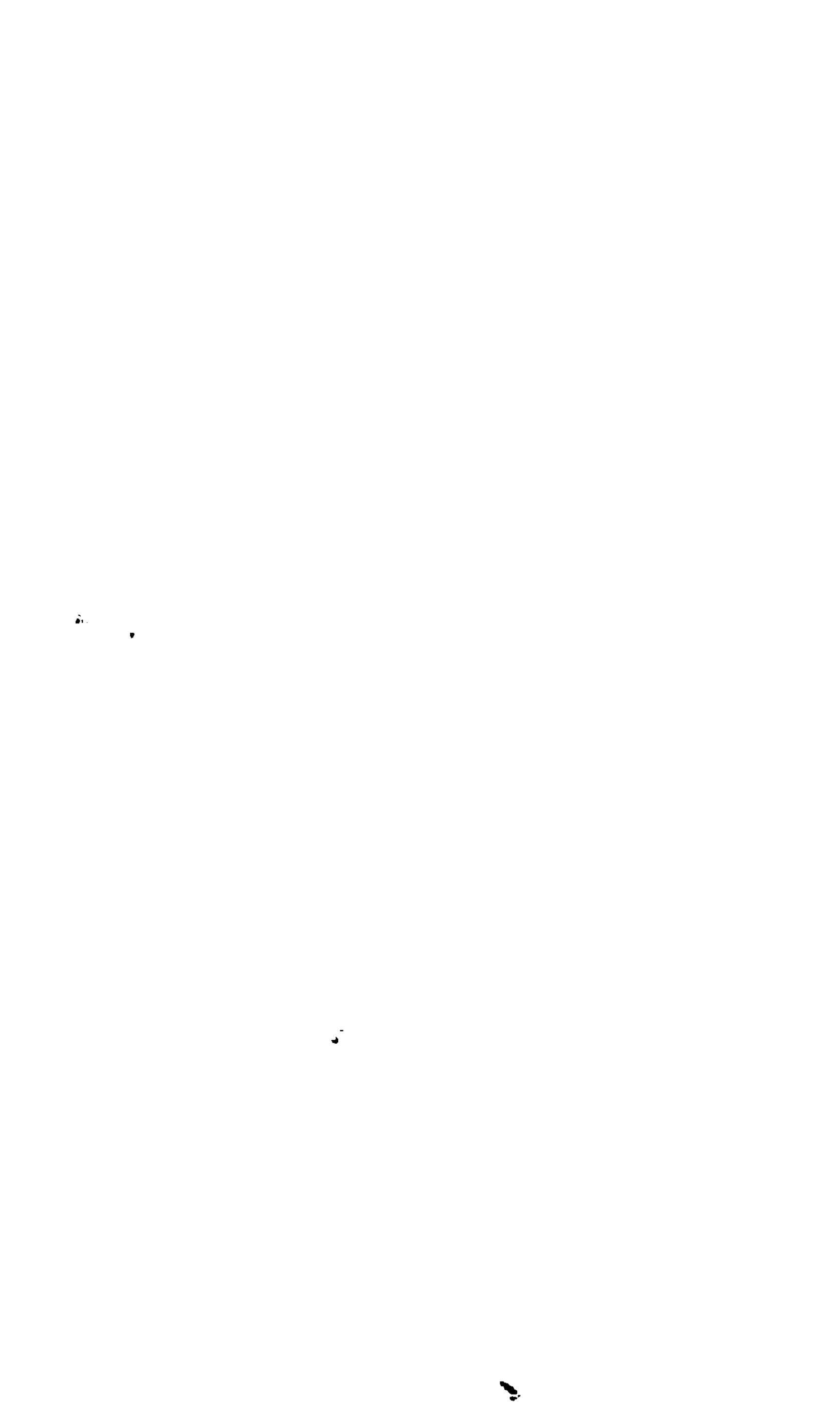
في اللّطيف الربيع

ستُكلّل رأسي

وشجرَ البَرْد سيحويني

وامرأة باقية بعيدة ستبكيني

وبُكاؤها كحياتي جميل.



للشاعر

لن

طبعة أولى، دار مجلة شعر، ١٩٦٠

طبعة ثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٢

الرأس المقطوع

طبعة أولى، دار مجلة شعر، ١٩٦٣

طبعة ثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٢

ماضي الأيام الآتية

طبعة أولى، المكتبة العصرية، ١٩٦٥

الرسولة بشعرها الطويل حتّى الينابيع

طبعة أولى، دار النهار للنشر، ١٩٧٥

كلمات كلمات كلمات (٣ أجزاء)

طبعة أولى، دار النهار للنشر، ١٩٧٨

خواتم

طبعة أولى، شركة رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١

الوليمة

طبعة أولى، شركة رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٤.



ISBN: 2-910355-18-7